الكفاحية، فهو يتمتع بشخصية فدائية وليس مجرد مجموعات من اللاجئين المذعورين الذين ينتظرون الاعاشة من وكالة الغوث، ويذلهم برد الشتاء وقيظ الصيف في خيام ومخيمات اللاجئين.

كانت سنوات العمل الفدائي ولادة حقيقية للكيانية الوطنية التي عبرت عنها الفصائل وجبهتها العريضة منظمة التحرير، فهي العنوان المؤسسي والقائد الذي تلتف حوله الجماهير ويتعامل مع القريب والبعيد وينتزع اعترافاً عالمياً متنامياً.

وبينما هزمت الأنظمة في حزيران/٦٧ انبثقت المقاومة من رحم الهزيمة وترسمت طريق الكفاح المعمد بالتضحيات والدم واجتراح البطولات. فهي الرد الثوري رغم ما اعتورها من عيوب وأخطاء.

تناسلت القواعد الفدائية واخترقت عوائق الطبيعة، وذهب شبابها إلى أقاصي الدنيا لتعلم فنون القتال. في الصين وفيتنام وكوبا والاتحاد السوفييتي ووو... فالفلسطيني امتشق صليبه على ظهره ولم يسمح لأحد بصلبه. أما المذابح السياسية والعسكرية فلم تحل دون تواصل البندقية التي غدت أقرب لجيش شعبي يمتشق أسحلة متنوعة وخبرات ميدانية غنية إضافة لبناء خدمات دولاتية صحية واجتماعية وتعليمية. لقد أصبحت مجتمع ثورة، مجتمع يحتضنها وثورة تحتضنه، رغم افتقارها لقاعدة جغرافية حرة وبنية مجتمعية واحدة.

فالشعب مشتت والمقاومة توحده، والمقاومة مجنحة والنظم تقصقص أجنحتها. لقد صنعت مجالها السياسي وفعلها القتالي في أسوأ الظروف الموضوعية.

ورغم التمنيات الكبيرة بأن تتحول المقاومة الفلسطينية لرأس حربة للجيوش والجماهير العربية، ورغم التعاطف الشعبي الواسع، غير أن ذلك لم يتحقق دون أن ننسى محاولات الأنظمة تجيير المقاومة واحتواءها وأحيانا ذبحها سياسيا وعسكريا.

أما السعي لجعل ساحة الداخل هي الساحة الأساسية في مواجهة العدو الصهيوني، فانشغالات البندقية في الدفاع عن نفسها في الخارج وغطسها في بناء مؤسسات هي أشبه بمؤسسات دولة، من جهة، والملاحقة الدؤوبة من قبل سلطات الاحتلال للمقاومة في الوطن المحتل، من جهة أخرى، وعدم المثابرة الكافية على استراتيجية ثابتة تنظر للداخل كساحة اساسية، كلها عوامل جعلت من ساحة الخارج هي الساحة الأولى إلى أن اندلع الجيشان الانتفاضي في أواخر/١٩٨٧، دون أن ننسى أن سياسة الرفد الكادري والتسليحي من الخارج للداخل، هذه السياسة الفاعلة بين ٦٧ — ٦٩ قد تراجعت وبهتت في السنوات اللاحقة وإن تمايزت فتح على سواها هنا.